معضلات الحرب الأمريكية على الإرهاب خلال حكم الرئيس جورج بوش الابن 2000-2008

الدكتور/ **بن صغير عبد العظيم.**أستاذ محاضر" أ "
قسم العلوم السياسية. جامعة بسكرة –الجزائر

الملخص:

خاضت الإدارة الامريكية في فترة حكم الرئيس الأسبق جورج بوش الابن حربا شرسة علي الإرهاب واستخدمت في ذلك جميع الوسائل السياسية والأمنية والاستخباراتية والإعلامية والاقتصادية من أجل مواجهة التهديدات الأمنية الجديدة والتحول العميق والدراماتيكي في العمل الإرهابي بعدما تم استخدام طائرات مدنية كصواريخ بالستية في هجمات 11 سبتمبر 2001، وسنعالج في هذه المقالة المعضلات التي افرزتها الحرب الامريكية علي الإرهاب بعدما تم مراجعة ما كتب خلال الفترة 2000-2008 ، أين وضعت استراتيجية الحرب علي الإرهاب كأولوية للسياسة الخارجية الامريكية وكمحدد في علاقاتها مع الدول الأخرى .

Abstract :

The American admiration sank daring the role period of the president George w, bush into a ferocious war against the terrorism .and it used in it all the political and security and investigatery and informative and economical means ,in order to face the new Security threats ,and the deep and dramatically transformation in the terrorism work ;after using civil airplanes as a ballistic missiles in 11 September attack .and we will treat in this article the dilemmas which result from the american war against the terrorism .after revising what had been written .during the period 2000.2008 ,where the strategic war against the terrorism had been involved as a priority of the American ,foreign policy , and as an indicator in its relations with other states

مقدمة:

يعتبر مفهوم الحرب على الإرهاب مفهوما غامضا، تم استخدامه بطرق مختلفة وبأجندات سياسية تخدم مصالح معينة، إلا أن أحداث 11 سبتمبر 2001، أعطت المفهوم بعدا آخر، يشير إلى تلك الحملات السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دولا وأفرادا وجماعات، التي ترى في سلوكها تهديدا لمصالحها، وأصبحت عنوانا بارزا ومحددا أساسيا لسياستها الخارجية خاصة تجاه منطقة الشرق الأوسط، ومما زاد في ضبابية وغموض هذه الحرب، هو عدم وجود تحديد دقيق وواضح ومتفق عليه دوليا لظاهرة الإرهاب. مما أدي الى تأويلات مختلفة في توصيف الظاهرة وتوصيف من يقوم بالفعل الإرهابي.

و عليه فان اعتماد سياسة الحرب على الإرهاب من طرف الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن تم عرضها بطريقة مبهمة وغير واضحة , فعادة الحرب تكون بين إطراف معلومة و ظاهرة تستخدم القوة العسكرية ، أما الإرهاب فهو ظاهرة تنمو و تتطور في أي مجتمع كلما توفرت أسبابها و دوافعها ,بمعنى ان الإرهاب ليس له دين أو مذهب أو جنسية أو أيديولوجيا , وعليه وبعد مرور ثمانية سنوات من انتهاء عهدة الرئيس بوش الابن واعتماد الحرب علي الإرهاب كأولوية للسياسة الخارجية الامريكية يمكن تقييم ومراجعة الحرب الامريكية ضد الارهاب خلال الفترة الممتدة 2000 - 2008 ،وذلك بطرح التساؤل التالي: هل استفادة الإدارة الامريكية من دروس حربها ضد الإرهاب؟ وماهي المعضلات التي نتجت عن امتداد تداعيات هذه الحرب؟.

مفهوم الحرب على الإرهاب: يعتبر بناء المفهوم من أهم العناصر في النظرية السياسية، كونه أداة ذهنية يستخدمها الباحث من أجل تحليل وتفسير وفهم ظاهرة معينة. وإذا اعتبرنا أن عملية البناء المفاهيمي من أهم المتطلبات لتحديد الإطار النظري للظاهرة المبحوثة، فإننا بحق أمام إشكاليات لغوية ومفهوميه واصطلاحية، وتناولات قاصرة لا تتسم بالملائمة والموضوعية في إطار هذه الظاهرة التي يتم تناولها في سياق العواطف المشحونة، والتأويلات المزدوجة، أو لعبة المصالح المتناقضة.

وفي تصوري لم تخضع ظاهرة للضغط المعرفي والمعضلات البحثية والإشكاليات الأمبريقية مثلما تعرضت لها ظاهرة الإرهاب. من حيث اختلاف الدلالات والمفاهيم والعبارات المستخدمة في اللغة والتي يمكن أن تصف الظاهرة ، وهذا ما فتح الباب أمام السياسيين والقادة باستخدام المصطلح بأشكال تختلف عن تصور الباحث المتخصص في إطار النماذج المعرفية السائدة، فالاستخدام غير الصحيح لمفهوم الإرهاب أدي إلى مازق على مستوى البناء المعرفي، بحيث أصبح المفهوم السائد غير قادر على تفسير حالات اجتماعية راهنة، أو أنه غير قادر على التكيف مع تحولات سياسية وأمنية واجتماعية معينة، أو أن المفهوم لا يقدم حلولا معرفية للمشكلات المرتبطة بالظاهرة.

أول ما استخدم تعبير الحرب على الإرهاب في الأربعينيات من القرن الماضي، هي سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين أثناء الحملة الواسعة التي قامت بها للقضاء على سلسلة من الضربات التي استهدفت مدنيين فلسطينيين والتي كانت تقوم بها منظمتي: "أرجون" و "شتيرن"، فقامت القوات البريطانية بحملة دعائية واسعة في الجرائد وأطلقوا عليها تسمية "الحرب على الإرهاب"، ولكن الانتشار الواسع لهذا المصطلح كان في السبعينيات وكان يطلق للتعبير عن المعارضين السياسيين لحكومات الاتحاد السوفياتي السابق وبعض الحكومات الأوربية [1].

ولكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حدثت تغييرات عميقة على الظاهرة وتم استخدام مفهوم جديد "للحرب على الإرهاب" الذي يشير إلى تلك الحملات السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دولا وأفرادا وجماعات والتي ترى في سلوكها تهديدا للمصالح الأمريكية، وعند محاولة إعطاء مفهوم دقيق للحرب على الإرهاب سنجد أن هناك أكثر من (12) اثني عشرة اتفاقية دولية حول مكافحة الإرهاب وتمويله. وحتي القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة. كقرار 1999 الذي يدين الإرهاب بغض النظر عن مسبباته وذرائعه وهويته[2]. فإن المجتمع الدولي لم يتوصل بعد إلى إعطاء تعريف محدد للإرهاب، كما سبق ذكره سلفا وهذا نتيجة للموقف الأمريكي المنحاز لإسرائيل والذي يصنف فصائل المقاومة الفلسطينية ضمن الحركات الارهابية. والذي يؤكد هذا الكلام، قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 07 نوفمبر 1987. الذي يدين الإرهاب والذي تمت المصادقة عليه بنسبة 153صوت مقابل رفض عضوين هما إسرائيل وأمريكا، لأن القرار المذكور يحتوي على الفقرة التالية: "**لا شيء في هذا القرار يمكن أن يفسر ضد الحق في تقرير المصير والحرية والاستقلال**، كما نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، أو ضد الشعب المحروم بالقوة من تلك الحقوق خاصة الشعوب الواقعة تحت النظم الاستعمارية العنصرية والاحتلال الأجنبي"[3].

وفي هذا الصدد يرى بريجنسكى أن سياسة الحرب على الإرهاب التي تبنتها الإدارة الأمريكية وأقنعت بها شعبها قد تم عرضها بطريقة مبهمة للغاية، ولم تتضح الأمور، فالإرهابيين كما يراهم الرئيس بوش الابن هم مرتكبي أفعال شريرة وذوو دوافع شيطانية ومجهولين. كما أن وصف الإرهاب بالعدو هذا يعني أنه أغفل بأن الإرهاب أسلوب فتاك يقصد منه الترويع ويستخدم من طرف مجموعات وأفراد ودول. والمرء لا يشن حربا ضد أسلوب أو تكتيك، فلن يعلن أحد عند بدء الحرب العالمية الثانية، أن الحرب ستشن ضد "الحرب الخاطفة" [4]. ويضيف برجنسكى بأن التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط هو السبب الرئيسي لاتجاه الإرهاب نحو أمريكا مثلما أدى التدخل الإنجليزي في ايرلندا،

على سبيل المثال إلى جعل الجيش الجمهوري الأيرلندي يستهدف بين الحين والآخر. لندن بل والعائلة الملكية نفسها، وقد أقر البريطانيون بتلك الحقيقة وسعوا للتعامل معها على الصعيدين العسكري والسياسي"[5].

كما أن عدم الرغبة في الاعتراف بوجود رابط تاريخي بين ظهور الإرهاب المعادي لأمريكا، والتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط يجعل صياغة رد استراتيجي فعال على الإرهاب أصعب بكثير [6]. يمعنى أن "بريجسنكي" يرى بأن الطريقة التي تدار بها الحرب على الإرهاب ليست بالسليمة على اعتبار أن الإدارة الأمريكية تلقى باللائمة على الشرق الأوسط لكونه الفضاء الذي ينمو فيه الإرهاب، في حين تغفل الإدارة الأمريكية تدخلاتها المختلفة سياسيا وعسكريا في المنطقة والتي نتج عنها تزايد نسبة العداء والكره للسياسات الأمريكية.

ولكن الغرب عادة ما يربط الإرهاب بالجغرافيا الإسلامية متأثرا بنظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنجتن، حتى أن الإدارة الأمريكية تحاول تقديم "الحرب على الإرهاب" كقضية للدفاع عن الحضارة والقيم الديمقراطية في المجتمعات الغربية، وتسميها "الحرب العادلة" والتي تعنى وفقا للقانون الدولي: أن الدولة تلجأ إليها دفاعا عن حقوقها ومصالحها الحيوية، والحرب غير العادلة فهي عدوانية سببها وهدفها التخريب [7].

ففي مؤسسة راند (Rand corporation)، تم تناول الإرهاب كعدو غير تقليدي يتطلب رؤية غير تقليدية، وإستراتيجية غير مسبوقة فأعداء اليوم (الإرهابيون)، هم أعداء ديناميكيون متنوعون منظمون، لا يمكن التنبؤ بهم، كما أنهم يتميزون بليونة (Fluent) وقدرة على التخفي، وذلك خلافا لأعداء الأمس، الذين يتصفون بالسكون، والتجانس والجمود، لذلك يرى "بريان جينكز" (*) في مقالة بعنوان "إعادة تعريف العدو، العالم تغير ولكن عقليتنا لم تتغير، أنه حان الوقت لتبني اقتراب شامل وواسع، وغير تقليدي لمواجهة الإرهاب، وعدم الركون إلى المنظور القديم للعدو." [8]

وفي نفس السياق أشار تقرير صادر عن مركز بروكينغز The brookings Institition إلى ضرورة وجود استراتيجية كبرى تتضمن رؤية شاملة ووعيا كاملا بعمق ظاهرة الإرهاب. إذ أن اختزال الحرب على الإرهاب في مجرد معارك عسكرية وإسقاط أنظمة يعد تهاونا بحجم العدو. هذا بالإضافة إلى شك بعض الباحثين في أن تكون العمليات العسكرية، قد حققت الأهداف المنتظرة منها [9].

لقد تبنت الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن في وثيقة الأمن القومي الأمريكي الصادرة في سبتمبر 2002، استراتيجية تعتمد على استخدام القوة العسكرية في محاربة الإرهاب وهذا ما أكدته الوثيقة في العبارات التالية: **"تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بامتلاك قوة عسكرية لا مثيل لها، وبنفوذ اقتصادي وسياسي عظيمين ... سوف ندافع عن السلام من خلال محاربة الإرهابيين والطغاة ... لقد أصبح الإرهابيون منتظمون للتغلغل في المجتمعات المتفتحة واستغلال التكنولوجيات العصرية ضدنا ... علينا استخدام كل أداة متوفرة في ترسانتنا العسكرية، وجهود نشطة لقطع التمويل المالي عن الإرهابيين"**. سوف تساعد الولايات المتحدة الدول التي تحتاج إلى مساعدتنا في محاربة الإرهاب، وسوف نحاسب كل الدول التي تتورط في الإرهاب. [10]

من خلال الوثيقة اعتبرت الولايات المتحدة أنه من حقها أن تواجه الأخطار التي يتعرض لها العالم الحر ومن حقها التدخل لإحداث التغيرات في العالم، وهي التي تعرضت للهجمات المدمرة في 2001/09/11، لاسيما في البلدان العربية والإسلامية، لأن حفاظها على أمنها لم يعد يقتصر على الحدود الأمريكية، ولو تطلب الأمر استخدام القوة العسكرية من أجل فرض إرادتها على الدول التي لم تقف معها في الحرب على الإرهاب وهو الذي يؤكد الشعار الذي رفعته الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن «من ليس معنا فهو ضدنا".

فالتعريف الأمريكي للإرهاب يركز على "المجموعات شبه القومية" أو العملاء السريين، الذين يستهدفون أهدافا غير محاربة، ويستثنى من ذلك الدول أو الجيوش، مثل أمريكا وإسرائيل، فهذه المجموعات شبه قومية تمارس عنفها وإرهابها ضد أهداف غير محاربة، أي ليست في حالة حرب معلنة رسميا وهذا ما يتطابق مع التعريف الإسرائيلي

الرسمي للإرهاب في موقع الوكالة اليهودية قسم التثقيف اليهودي الصهيوني على الإنترنت: "الإرهاب هو عمليات القتل والتدمير الموجهة عمدا ضد المدنيين أو العسكريين في ظروف غير عسكرية". (11)

وقد تم استخدام "الحرب على الإرهاب" من طرف الإدارة الأمريكية كبوصلة تقيس بها علاقاتها الدولية، خاصة بعد ضربات 11 سبتمبر 2001 التي استغلت فيها حجم التعاطف الدولي كونها ضحية من أجل تحقيق ما يلي: (12)

1) توسعة النفوذ الأمريكي دوليا تحت وطأة تهديد الدول والجماعات والأشخاص الداعمين للإرهاب.

2) إعطاء الولايات المتحدة ذريعة جاهزة للتدخل في كل مكان، على مختلف الأصعدة وبأية طريقة تراها مناسبة لمصالحها.

3) محاولة القضاء على أي صوت يحاول ممانعة السياسة الأمريكية، والتأكيد على أن أمريكا تفعل ما تريد، والعالم يجب أن يفهم هذا جيدا، وهذا ما أشارت إليه مجلة الغارديان في عددها 2001/03/30، صفحة 210 تحت عنوان: «صفقة قذرة": "قام الرئيس بوش بعرض مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية على المحك، حين قال: نحن نفعل ما نريد وإذا لم يرق لكم ذلك، فلكم أن تنطحوا الجدار" وقد قال هذا الكلام على خليفة رفض معاهدة كيوتر (Kyoto)، الخاصة بالاحتباس الحراري من طرف الولايات المتحدة (13).

2-معضلة الربط بين الخطاب المعلن والسياسة المطبقة بالفعل. لما نقوم بتحليل خطابات الرئيس بوش الابن وهو يتكلم عن محاربة الإرهاب والإرهابيين. ويصفهم بأعداء الحرية والديمقراطية، ويسعون إلى تخريب العالم. ومتمردون على القيم العليا للإنسانية، وينتهكون الأعراض ويقتلون الأبرياء والآمنين في بيوتهم ووظائفهم، نسمع كلاما لا لبس عليه ، لأن الجميع يرفض الإرهاب وترويع الآمنين وتخويف الناس ، ولكن المشكلة الحقيقية هي في توصيف الإرهاب والإرهابيين، الذي عادة ما يخضع للتحديد وفق المنظور الأمريكي، وهو ما يشكل نقطة الخلاف الجوهرية بين الباحثين والسياسيين. مما أدى إلى ظهور أزمة ثقة و مصداقية في العالم العربي والإسلامي للسياسة الأمريكية المنتهجة في مكافحة الإرهاب، والتي لا تحترم فيها الحقوق والحريات وتمارس فيها شتى أنواع التعذيب والاعتقال. في من يشتبه في انتمائهم للجماعات الإرهابية المصنفة أمريكيا فالسياسة الأمريكية المطبقة بالفعل فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب أو دعم الديموقراطية والإصلاح السياسي وحقوق الانسان والحريات الإعلامية والسياسية في الدول الصاعدة ، تختلف عن السياسات المعلنة في الخطابات الرسمية أو الأدبيات السياسة، الصادرة عن الهيئات والمجالس القيادية الأمريكية الرسمية، وذلك باستخدام المعايير المزدوجة ، مثلا (الموقف من الديمقراطية في فلسطين قبل وبعد نجاح حماس). التناقض الصارخ بين هدف تغيير بعض الأنظمة، ومطالبتها في الوقت ذاته بدور المساعد للسياسات والمصالح الأمريكية في المنطقة: مثال مصر في عهد مبارك التي ضغطت عليها الولايات المتحدة الأمريكية لإصلاح النظام السياسي والحد من سلطوية النخبة الحاكمة وفي الوقت نفسه تدعو النخبة الحاكمة في مصر لمساعدة السياسة الأمريكية في المنطقة وعدم عرقلة تدفق المصالح الأمريكية ، أو مثلا مطالبة النظام الإيراني والسوري أنداك بدعم العملية السياسية في العراق، وهي الأنظمة المصنفة أمريكيا " بالدول الخارجة عن القانون".

إن هذه المفارقة بين ما تقول الولايات المتحدة الأمريكية وما تفعل في حربها على الإرهاب طرح إشكاليات على مستوى تتبع مسار وتقييم هذه الحرب المعلنة، والنتائج المحصل عليها قياسا بالأهداف المسطرة ، مثل قول الرئيس بوش الابن "المهمة انتهت"، و"كسبنا المعركة" و"من ليس معنا فهو ضدنا" و"الحرب العادلة"، هي عبارات ومصطلحات تعطي إيحاءات ودلالات للجمهور بأن الحرب على الإرهاب هي حرب مقدسة وطويلة الأمد، وأن الإرهاب تمت هزيمته. ولكن الواقع الميداني يعطي مؤشرات أخرى تدل على أن الإرهاب يتزايد بشكل متسارع. من حيث عدد العمليات أو الضحايا (حالة العراق مثلا)، وأن الإدارة الأمريكية تتلقى رسائل معاكسة للرسائل المسوقة للرأي العام، وأكبر دليل علي ذلك هو ظهور تنظيم داعش في سوريا والعراق وامتلاكه لأسلحة جد متطورة وسيطرته علي مساحات واسعة من

الأراضي العراقية والسورية ولحد الساعة لم يتمكن التحالف الدولي من إيقاف زحف داعش وامتداداته الجيواستراتيجية في المنطقة والتهديدات الجديدة التي نتجت عن اعلان الخلافة الإسلامية بزعامة البغدادي.

أن المعضلة التي تواجه الحرب الامريكية على الإرهاب هي عدم مقدرة الإدارة الأمريكية من الربط بين السياسة المعلنة، والسياسة المطبقة بالفعل، مما أحدث نوع من الاستخدام غير المنطقي لمضمون سياسة الحرب على الإرهاب سواء من طرف الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، أو من طرف حلفائها في هذه الحرب، الذين وجدوا الفرصة المناسبة، في الأجواء التي وفرتها بروباغندا الحرب على الإرهاب، في القضاء على المعارضين أو الخصوم السياسيين، أو الانفصاليين والحركات المتمردة وذلك لسهولة وصفهم بالإرهاب، واستغلال العواطف المشحونة التي تروجها السياسة المعلنة في الحرب على الإرهاب واستخدامها في الأجندات الخاصة لهذه الدول ، وهذا ما زاد من تفاقم معضلات الحرب على الإرهاب.

لقد أشارت دراسة أعدتها المجموعة الدولية لحقوق الأقليات ونقلتها وكالة رويترز أن الأقليات التي تعيش على الخطوط الأمامية للحرب على الإرهاب، تعد هي الأكثر تهديدا في العالم، حيث تعتبر الصومال والعراق وأفغانستان من بين أول عشرة دول في العالم التي تعاني فيها الأقليات من مشكلات الإرهاب. وقالت إيشبيل ماثيسون، المتحدثة باسم المجموعة بأن:" بعض الحكومات في العالم تعلق أمالها على تحالفها مع الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب لتقوم بأفعال ضد الأقليات داخل حدودهم. وخص تقرير المجموعة الذي صدر تحت عنوان "حالة الأقليات لعال 2007"، باكستان وتركيا وإسرائيل حلفاء أمريكا في الحرب على الإرهاب تميزوا بالقمع الشديد لمجموعاتهم العرقية لعام 2006. وقال التقرير أيضا أن الحرب على الإرهاب أدت إلى بروز الخوف من الإسلام في كل أنحاء أوربا، حيث تبنت بعض الحكومات قوانين تحد من حقوق كل المواطنين، ولكنها تستهدف على نحو خاص الطوائف الإسلامية مما يجعلهم يشعرون على نحو متزايد بالخوف والاضطهاد [14].

فوجدت بعض الأنظمة الفرصة مناسبة في سياسة الحرب على الإرهاب المعلنة لتستخدمها كذريعة لقمع واضطهاد بعض الأقليات القومية أو الإثنية أو اللغوية أو الدينية التي تشكل لها تهديدا أو التي تسعى للانفصال، فبمجرد تبني هذه الأنظمة استراتيجية الحرب على الإرهاب من السهل عزل هذه الأقليات ووصف أعمالها بالإرهاب، فهذا الفعل أو السلوك أوقع الإدارة الأمريكية في معضلة الربط بين السياسة المعلنة والسياسة المطبقة. بهذا المنطق حاول الرئيس بوش الابن ربط جميع مشاكل العالم بالإرهاب ومحاربته عن طريق القوة العسكرية، مما أدى في النهاية إلى أخطاء ومعضلات على مستوى التطبيق لدرجة أن "نعوم تشومسكي" يصف إدارة بوش الابن بأنها الأخطر في تاريخ أمريكا ولم يتردد في وصف بلده (أمريكا) بأول دولة إرهابية في العالم [15].

3- معضلة السيطرة على نتائج الحرب ضد الإرهاب. من المعضلات التي واجهت السياسة الأمريكية عقب إعلانها الحرب على الإرهاب هي صعوبة سيطرتها على نتائج وتداعيات هذه الحرب، بمعنى كيف يمكن ضبط عمليات وآليات الحرب على الإرهاب، بالشكل الذي يضمن نتائج متحكم فيها، أو على الأقل يمكن السيطرة على تداعياتها. فإذا كانت نتائج وسيرورة الأحداث تعطي مؤشرات مغايرة أو معاكسة لما هو مطلوب من "الحرب على الإرهاب" أو تؤدي إلى خلق حالات من الفوضى واللاأمن أو انتهاكات سافرة للكرامة الإنسانية والمثل العليا للحرية والعدالة وحقوق الإنسان، فالتناقض الذي وقعت فيه الإدارة الأمريكية في هذا السياق أدى إلى معضلات واشكاليات على مستوى نتائج الحرب ضد الإرهاب. تمثلت في صعوبة المحافظة على تلك القيم ومحاربة الإرهاب الذي يضحي في الغالب بالحرية والعدالة والكرامة الإنسانية وحقوق الانسان .

إن نتائج وتداعيات الحرب على الإرهاب لا يمكن السيطرة عليها والتحكم في إفرازاتها، فقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فالاتجاه الذي أخذته سياسة الحرب على الإرهاب خرج عن السيطرة الأمريكية، بل وسجلنا انتشار

وتوسع تنظيمي وميداني لتنظيم القاعدة الذي كان محصورا فقط في أفغانستان، حتى تشكل تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وبلاد المغرب الإسلامي وفي منطقة القرن الإفريقي، والشرق الأوسط، وأصبحت المواجهة شاملة تتطلب تدابير وإجراءات أكثر صرامة وجدية.

وأن من أكبر المعضلات التي واجهت الحرب الأمريكية على الإرهاب في عهد بوش وما بعده ، من حيث عدم السيطرة على نتائجها وتداعياتها هي الحالة العراقية التي لم تظهر فيها النتائج كما أرادت الإدارة الأمريكية وكما تم التخطيط لها قبل الحرب، وذلك من خلال تزايد النفوذ الإيراني في المنطقة، وتحكمها في مفاصل القرار العراقي حيث تعتبر ايران من أكبر المستفيدين من احتلال العراق رغم تصنيفها أمريكيا آنذاك بأكبر دولة راعية للإرهاب ، ففي خضم هذه الحرب تخلصت إيران من حركة طالبان بأفغانستان، ونظام صدام حسين بالعراق عن طريق الآلة العسكرية الأمريكية، وهي الفرصة السانحة التي لم تخطط لها إيران. بل واستثمرت الجهل الأمريكي بجغرافية العراق وتكويناته العرقية والطائفية والمذهبية، وأحكمت سيطرتها على مفاصل القرار في إدارة العملية السياسية العراقية، واستخدمت نفوذها داخل العراق وداخل لبنان وسوريا بطريقة ذكية من أجل تسيير ملفها النووي، وقد تبدو إيران الحليف الأمريكي الواقعي الأكثر أهمية في العراق، وهي التي ساعدت في إقناع قائد مليشيات الشيعة مقتدى الصدر بسحب جيش المهدي التابع له من صفوف معارضة عنيفة ودعم العملية الانتخابية في العراق، وهو المسعى الإيراني الذي يبدو أكثر نجاحا من المسعى الأمريكي، ذلك أن الأحزاب التي تدعمها إيران أفضل أداء في الاقتراع من الأحزاب التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية[16].

وفي أفغانستان الوضع لا يختلف كثيرا عن العراق، فالمشهد الأفغاني، لم يكن كما تمناه الأمريكيون رغم إصرار إدارة بوش الابن على نجاح الحملة الأمريكية في أفغانستان، فحامد كرزاي الابن المدلل لأمريكا، لم يسلم من الصفعات السياسية ، ومن بين الهزائم التي مني بها انتخاب يونس قانوني سنة 2005 وهو من الطاجيك، خصمه ومنافسه في الانتخابات ، كرئيـــــسا لمجلس النواب بغالبية الأصوات، بعد فوزه على زعيم أحد الفصائل المتحالفة مع حامد كرزاي، كما تمكن بعض قادة طالبان في إثبات وجودهم في الانتخابات البرلمانية التي جرت في ديسمبر 2005، وهو ما يؤكد أنهم لا يزالون يتمتعون بثقة الجماهير، رغم محاولات تشويه سمعتهم والتقليل من شعبيتهم، ونظرا لتدهور شعبية وشرعية الرئيس كرزاي لم يجد بدا من دعوة زعيم حركة طالبان الملا محمد عمر في 08 جانفي 2006 لمصالحة والحوار مع حكومته في كابول، وهي الدعوة التي ردت طالبان برفضها، مؤكدة أن هجماتها سوف تستمر حتى رحيل القوات الأمريكية من البلاد[17].

كما نشرت صحيفة الأندبندنت البريطانية أن حركة طالبان لم تهزم إلى الآن في إقليم هلمند جنوب أفغانستان، حيث كان لها عدة هجمات شملت 14 تفجيرا جنوب وشرق أفغانستان، كما حذر وزير الدفاع البريطاني "جون ريد" في زيارته لكابول، من إمكانية عودة نظام طالبان إلى الحكم في أفغانستان وحمايته لتنظيم القاعدة [18]. وفي تقرير أصدره معهد الولايات المتحدة للسلام، يشير إلى أنه بعد خمسة سنوات على الانتصار في الحرب على طالبان، يبدو أن حكومة كرزاي والمجتمع الدولي يخسران معركة الثقة مع الشعب الأفغاني وهناك مؤشرات تدل على ذلك منها:

- زيادة كبيرة في العمليات الانتحارية (على غرار ما يجري في العراق).
- تصاعد الكراهية لدى المواطن الأفغاني نحو الغربيين.
- تضاعف أعداد المواطنين الأفغان المترددين بين تأييد طالبان أو تأييد الحكومة [19].

ويرى بعض المراقبين أنه ما إن يغادر المجتمع الدولي أفغانستان ولا سيما الولايات المتحدة، بقوتها الجوية، فستعود طالبان وتسترجع السلطة الكاملة على هذا البلد [20]. معنى ذلك أن حركة طالبان تم القضاء عليها عسكريا

باستخدام الآلة العسكرية الثقيلة لقوات التحالف والقوات الأمريكية، لكن هذه الآلة لم تتمكن من نزع طالبان من ضمير الأمة الأفغانية الذين يعتقدون أن خلاصهم مرهون بعودة طالبان وبخروج قوات التحالف.

4- معضلة التنوع والتناقض داخل العالم الإسلامي. لما اقتنعت الولايات المتحدة الأمريكية بان مكافحة الإرهاب يكون عن طريق إحلال الديمقراطية مكان الأنظمة الفاسدة والمستبدة، ورفعت شعار الإصلاح السياسي في الدول العربية والتحول نحو الديمقراطية، ونشرها في العالم العربي كالتزام أمريكي، لكن هذا الالتزام تأثر بظاهرة صعود الحركات الإسلامية واستفادتها سياسيا من التحولات الديمقراطية التي جرت ببعض الدول العربية والإسلامية، مما خلق مأزقا لدى الإدارة الأمريكية في كيفيات التعامل مع الإسلاميين، وهل ستفي أمريكا بالتزامها الذي قطعته على نفسها بخصوص نشر الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي، وهل يمكن وضع الحركات الإسلامية الصاعدة جميعها في سلة واحدة وهي سلة الإرهاب؟ أو سيتم تصنيفها حسب الحالة؟ أو حسب ما تقتضيه المصلحة الأمريكية؟ وهذه التساؤلات وغيرها كانت محل نقاش وجدل في أوساط المراكز البحثية الأمريكية، من أبرزها: "خدمة أبحاث الكونغرس" وهي هيئة بحثية غير حزبية تابعة للكونغرس أسست عام 1914 تعمل على إمداد أعضاء الكونغرس بالأبحاث العملية التي يحتاجونها لبناء قراراتهم، ومعهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، ومجموعة الأزمات الدولية. ويشير التقرير الذي أصدرته هيئة "أبحاث الكونغرس" بأن الإدارة تواجه معضلة تمثلت في أن استمرار الضغط من أجل تحقيق الديمقراطية في العالم العربي، قد يدعم صعود الجماعات الإسلامية سياسيا، وهي جماعات معارضة في أغلب مواقفها للسياسات الأمريكية في المنطقة ، كما أن صعودها سوف يؤثر سلبيا على علاقة أمريكا بالنظم العربية، مما سيؤثر على تعاونها في حربها ضد الإرهاب، وقد ترتب على هذه المعضلة ظهور جدل قوي حول "قضية التعامل مع الجماعات الإسلامية الشرق الأوسطية"[21].

وقد كشفت المناظرات والحوارات الأكاديمية الأمريكية التي أجريت في فترة سابقة الى تغيير نمط المدركات والتصورات السابقة التي كونها الأمريكيون عن الإسلاميين، وظهرت في هذا الإطار ثلاثة اتجاهات تم مناقشتها: الأولى هي معضلة مفاهيمية تتعلق بتحديد من هم الإسلاميون؟ هل هم المعتدلون أم الراديكاليون؟ والثانية تتعلق بـــ: هل يقبل الإسلاميون بالديمقراطية؟ وهل يمكن إشراكهم في العملية السياسية داخل دولهم؟ والثالثة: هي معضلة إجرائية تتعلق بـــ: هل أن الديمقراطية هي العلاج للإرهاب؟ وأي سياسة يمكن أن تنجح في محاربة الإرهاب؟[22].

كما ثار جدل عميق داخل العالم الإسلامي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حول مفهوم وحدود الإصلاح الديني الذي دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية في خضم سياسة الحرب على الإرهاب، والذي كشف عن وجود خلافات كبيرة بين القوى والحركات والمؤسسات الإسلامية الرافضة للتدخل الخارجي والمعارضة لتغيير مفهوم الجهاد ، الولاء، البراء[23]، والرافضة أيضا لمغالطات التي يحملها مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي عرضته الولايات المتحدة الأمريكية على مجموعة الدول الثمانية الأكثر تصنيعا في العالم بالإضافة إلى النمو الديمغرافي الضخم المتوقع في العالم الإسلامي، خلال نصف القرن القادم، والذي يتوقع أن يزيد بنسبة تصل إلى 130% في العالم العربي بحلول عام 2050، مقارنة بنسبة 67% في الدول النامية، و54% على المستوى العالم[24]، والمشكلة ليست في حجم السكان ولكن في تركيبة السكان، الذي يتوقع أن تصل نسبة الشباب فيه إلى أكثر من النصف. هذا الانفجار السكاني سيكون له تداعياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، خاصة إذا استمرت حالة الانسداد السياسي الداخلي، وتصلب المواقف الأمريكية تجاه العالم الإسلامي، فمن المتوقع أن تزيد نسبة العداء للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في أوساط الشباب المتحمس والرافض للتدخل الأمريكي في المنطقة [25]، وهذا ما حدث بالفعل وكان وراء هزيمة المحافظين الجدد وحلفاؤهم من الجمهوريين في انتخابات الرئاسة سنة 2008. وذهاب أوباما للقاهرة في خطابه الشهير أمام طلاب

جامعة القاهرة ومحاولة مسح صورة الكره والعداء التي تشكلت في ذهنية العربي والمسلم جراء ممارسات سلفه بوش الابن.

خاتمة: إن تناول موضوع الحرب الامريكية على الإرهاب في عهد الرئيس بوش الابن بالدراسة والتحليل والوقوف على الأفكار المفصلية والقضايا الأساسية له يتطلب درجة عالية من الحيادية والموضوعية، لأنه يتم التعاطي معه وفق منطق المعايير المزدوجة، والاستخدام الانتقائي للمفردات والمضامين بالشكل الذي يتوافق والمصالح السياسية، حتى أصبحت التضحية بالأوضاع الإنسانية لا تشكل معضلة إذا ما تعارضت مع المصالح السياسية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية ، ومن السهل اختلاق الذرائع لتبرير الانتهاكات السافرة في حق الدول والجماعات والأفراد، التي قد تقف ضد التوجهات الأمريكية في حربها على الإرهاب.

وهذا ما يفسر الاصطفاف الثنائي وسياسة المحاور التي ترسخت بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 والتي نتج عنها تحالف مجموعة دول مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على الإرهاب، ودول أخرى مارقة (خارجة على القانون) أو ما يعبر عنه بمحور الشر، والرافضة للمنظور الأمريكي في الحرب على الإرهاب .

- إن مفهوم الحرب على الإرهاب هو مفهوم غامض وغير واضح المعالم وتم استخدامه بطرق مختلفة لا تعبر عن حقيقة الواقع المراد تغييره، لأن كل طرف منخرط في هذه الحرب يعتمد مفهوما ذاتيا يستخدمه كمنطلقا ومحددا لعلاقاته مع الآخر، وهذا ما أدى إلى تكريس حالة من عدم الاستقرار والغموض الناتجة عن الاستخدام المزدوج لسياسة الحرب على الإرهاب.

- إن منظرو سياسة الحرب على الإرهاب أسسوا لأطروحاتهم الفكرية اعتمادا على أفكار دينية لليمين المسيحي المتطرف الذي ينطلق من تصورات ومسلمات مطلقة في تحليل الصراع بين الخير والشر وحول الصراع من ديني إلى سياسي، أي بين دولة تحب العدالة والخير ودول محور الشر (الدول المارقة) الداعمة للإرهاب، واعتمدوا على الأطروحات السياسية للمحافظين الجدد الذي ازداد نشاطهم وتأثيرهم في صناعة القرار داخل الادارة الأمريكية مع مجيء جورج بوش الابن للسلطة، وما أفرزته النقاشات الأكاديمية والحوارات الفكرية لنظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنجتن الذي يرى بأن مجال الصراع في السياسة الدولية يكون بين مجموعات حضارية مختلفة.

- إن سياسة الحرب على الإرهاب تشكلت وفق منظور نمطي يؤمن بالقوالب الجاهزة والمسلمات المطلقة التي حددت الفلسفة الأمريكية في محاربة الإرهاب والتي تمثلت فيما يلي:

- أن الحرب على الإرهاب هي صراع الحرية ضد الإرهاب وقوى الخير ضد قوى الشر، والمتحضرون ضد البرابرة والمعتدلون ضد المتطرفون.

- أن الحرب على الإرهاب تعني أن أفضل الدفاع هو الهجوم، أو الهجوم بغرض الدفاع عن النفس، وقد تجاوزت الحرب على الإرهاب الاستباقية إلى الحرب الوقائية أي الحيلولة دون أن تصبح أي دولة مجرد مصدر تهديد لأمريكا، وهذا ما يفسر إحتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق بذرائع مكذوبة.

- اعتماد الحرب ضد الإرهاب في وسائلها على نشر الفوضى في النظام الدولي عن طريق إستراتيجية الفوضى البناءة التي تعني إيجاد حالة مقصودة من عدم الاستقرار السياسي والأمني يفقد فيها الأطراف القدرة على السيطرة وتضيع البوصلة، مما يساعد على صناعة الحالة المستهدفة من الحرب على الإرهاب، والمثال على ذلك حالة الفتنة الطائفية والمذهبية في العراق، والاستقطاب السياسي في لبنان، والفلتان الأمني ما بين فتح وحماس.

- كما كشفت الحرب الامريكية على الإرهاب في عهد بوش الابن على حقيقة الأبعاد التوسعية والطموح الإمبراطوري من خلال الاستخدام المفرط للقوة العسكرية أو سوء استخدامها بالقدر المطلوب، واعتقاد الإدارة الأمريكية آنذاك بأن

الخوف وحده هو الذي يعيد الاحترام للولايات المتحدة الأمريكية بدلا من الإقناع والتأثير والقيادة، وهذا ما شكل تحولا دراماتيكيا في نمط وسيكولوجية القيادة الأمريكية بقيادة بوش الابن.

الهوامش :

(1) نظر http://www.time.com/time.archive/

(2)إبراهيم علوش، **" ماذا تعني الحرب على الإرهاب"** متحصل عليه من :

http://www.freearabvoice.org/arabia/majalat/mathata3neeA17arab3alla. ،

(3)المرجع نفسه.

(4)بريجنسكي زبيغنيو ، **الإختيار: السيطرة أم القيادة**، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص35.

(5)المرجع نفسه، ص 42.

(6)المرجع نفسه، ص 43.

(7) ناظم عبد الواحد الجاسور، مرجع سابق، ص 165.

* باحث في مؤسسة راند(RAND CORPORATION)

(8)صلاح الرشيدي، **حرب الإرهاب، البحث عن رؤية أمريكية جديدة**، متحصل عليه من

http://www.Islamonline.Net.fille.//F:\19.htm.

9)المرجع نفسه.

(10)ماجد كيالي، **التحول في استراتيجية السياسية الأمريكية، من احتلال العراق إلى دعوات التغيير في المنطقة**، مجلة شؤون عربية، (العدد، 114، صيف 2003)، ص 29.

11) http://www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/Mathata3neeA17 arab3alla AIERHAB/htm.

(12)المرجع نفسه.

13)كلايد ير ستوفتز، **الدولة المارقة، الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية**، ترجمة: فاضل جنكر، لبنان: ب م ن، ط1، 2003، ص10.

(14)تقرير صادر عن المجموعة الدولية لحقوق الأقليات، لندن، نقلا عن شبكة النبأ متحصل عليه من المعلوماتية .www.annabaa.orge

(15)إنياسيو رامونه، **واقع عالمي جديد، نزاعات، تجارة بيئة**، متحصل عليه من.www.annabaa.org/nbanews/61/451/htm

(16)حايمس دوينز، **العراق: من الديمقراطية إلى الحكم**، كتاب: هلال الأزمات، تأليف أيفودالدرو وآخرون، الدار العربية للعلوم، ط، 2006، ص 148 .

(17)شير فاتح، **طالبان تطيح بحسابات أمريكا في أفغانستان**، (مجلة السياسة الدولية، العدد 167، جانفي 2007، ص 216).

(18)نفس المرجع، ص 217.

(19)**أفغانستان بعد خمس سنوات من سقوط طالبان** ...مراجعة أمريكية، تقرير صادر عن معهد الولايات المتحدة للسلام، متحصل عليه من www.Usip.orgتوفمبر 2006.

(20)مايكل شمانك، أفغانستان: **عناصر إستراتيجية بين ضفتي الأطلس لبناء أمة** ، كتاب هلال الأزمات: الإستراتيجية الأمريكية، الأوربية حيال الشرق الأوسط ، تأليف ايغودالدر وآخرون، تراحسان البستاني: لبنان: 2007

(21)علاء بيومي، **سياسة أمريكا لنشر الديمقراطية بالشرق الأوسط، معضلة الإسلاميين** ، جريدة الوطن، 03 سبتمبر 2007، متحصل عليه من. ;http.//zzz.file.hg.04.ht

(22)إبراهيم الغالي، **ثلاث معضلات أمريكية في الحوار مع الإسلاميين**، متحصل عليه من :

www.Islamonline.Net

(23) http// :www.Taqrir.org/Print article. FM ?. ID=505.

(24)محمد الجوهري حمد الجوهري، **الديمغرافية الأمريكية والشرق الأوسط الكبير**، مصر: دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 105.

(25)المرجع نفسه، ص 115.